Conference Proceedings: Enhancing the Role of Islamic, Social, and Human Studies in Building Society, Volume 23/1, July 2026.

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502

Journal Of the Iraqia University

available online at

https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

آيات الاستفزاز في القرآن الكريم دراسة موضوعية

م.د مصطفى اياد شهاب

الجامعة العراقية/ كلية القانون والعلوم السياسية

Verses of Provocation in the Holy Qur'an An Objective Study

Mustafa ayad shehab

mustafa.i.shehab@aliraqia.edu.iq

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة آيات الاستفزاز في القرآن الكريم دراسة موضوعية، من خلال بيان مفهوم الاستفزاز ودلالاته اللغوية والقرآنية، والكشف عن الألفاظ ذات الصلة به، وتحليل مواضعه وسياقاته في القرآن الكريم. واعتمد البحث المنهج الموضوعي التحليلي القائم على جمع الآيات المتعلقة بالاستفزاز ودراستها في ضوء السياق القرآني وأقوال المفسرين. وقد تناول البحث صور الاستفزاز الواردة في القرآن الكريم، والمتمثلة في الاستفزاز العقدي والفكري، والاستفزاز النفسي والاجتماعي، والاستفزاز الشيطاني، مع بيان أهدافها وآثارها في سلوك الإنسان وعلاقاته الاجتماعية. كما تناول المنهج القرآني في مواجهة الاستفزاز من خلال الصبر والحلم والحكمة وضبط النفس والإعراض عن الجاهلين والدفع بالتي هي أحسن، وبيّن الآثار التربوية والأخلاقية المترتبة على الالتزام بهذه التوجيهات. وتوصل البحث إلى أن الاستفزاز في القرآن الكريم يمثل وسيلة للتأثير في الإنسان وصرفه عن الحق أو إثارة انفعالاته ومواقفه، وأن القرآن الكريم قد وضع منهجًا متكاملًا للوقاية من آثاره ومعالجتها، بما يسهم في بناء شخصية متوازنة وتعزيز الاستقرار النفسي والاجتماعي، فضلًا عن تقديم معالجات فاعلة لكثير من صور الاستفزاز المعاصرة.

الكلمات المفتاحية :الاستفزاز ، القرآن الكريم، التفسير الموضوعي، الاستفزاز الشيطاني، التربية القرآنية.

Abstract

This study aims to examine the verses of provocation in the Holy Qur'an through a thematic approach by exploring the concept of provocation, its linguistic and Qur'anic connotations, identifying the related Qur'anic expressions, and analyzing its occurrences and contexts in the Qur'an. The research adopts the thematic and analytical method based on collecting the Qur'anic verses related to provocation and examining them in light of their textual contexts and the interpretations of classical and contemporary exegetes. The study investigates the major forms of provocation presented in the Qur'an, including doctrinal and intellectual provocation, psychological and social provocation, and satanic provocation, while highlighting their objectives and effects on human behavior and social relations. It also discusses the Qur'anic methodology for confronting provocation through patience, forbearance, wisdom, self-restraint, avoidance of ignorant behavior, and responding with what is best, in addition to explaining the educational and ethical outcomes of adhering to these Qur'anic directives. The study concludes that provocation in the Qur'anic perspective constitutes a means of influencing individuals, diverting them from the truth, or stirring their emotions and reactions. Furthermore, the Qur'an provides a comprehensive approach to preventing and addressing its negative effects, contributing to the development of a balanced personality, the promotion of psychological and social stability, and the provision of effective solutions to many contemporary forms of provocation.

Keywords: Provocation, Holy Qur'an, Thematic Interpretation, Satanic Provocation, Qur'anic Education.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.أما بعد..يُعد القرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح، وقد عني بتوجيه الإنسان نحو السلوك القويم وحمايته من المؤثرات التي

تزعزع استقراره الفكري والنفسي والاجتماعي. ومن الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم بأساليب متنوعة قضية الاستفزاز؛ لما لها من أثر كبير في توجيه السلوك الإنساني وإثارة المواقف والانفعالات التي قد تؤدي إلى الانحراف عن منهج الاعتدال والاتزان. وقد وردت آيات الاستفزاز في سياقات متعددة ارتبطت بالصراع بين الحق والباطل، وبوسائل الشيطان في إغواء الإنسان، وبالمواقف التي تعرض لها الأنبياء والمؤمنون من قبل أعدائهم، مما يكشف عن أهمية هذا الموضوع في بناء الشخصية المؤمنة القادرة على مواجهة الضغوط والمؤثرات المختلفة.وتتجلى أهمية دراسة آيات الاستفزاز في القرآن الكريم في كونها تسلط الضوء على ظاهرة إنسانية متجددة تتجاوز حدود الزمان والمكان، إذ ما تزال صور الاستفزاز الفكري والنفسي والاجتماعي حاضرة في حياة الأفراد والمجتمعات بأشكال متعددة. كما أن القرآن الكريم لم يقتصر على بيان صور هذه الظاهرة وأسبابها، بل قدم منهجًا متكاملًا للتعامل معها والحد من آثارها السلبية من خلال ترسيخ قيم الصبر والحلم والحكمة وضبط النفس والإعراض عن السفهاء.ومن هذا المنطلق يسعى هذا البحث إلى دراسة آيات الاستفزاز في القرآن الكريم دراسة موضوعية، للكشف عن مفهوم الاستفزاز ودلالاته، وبيان صوره وأهدافه، واستجلاء المنهج القرآني في مواجهته، مع إبراز آثاره التربوية والأخلاقية وإمكانات الإفادة منه في معالجة صور الاستفزاز المعاصرة.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي:

ما المقصود بالاستفزاز في القرآن الكريم، وما صوره وأهدافه، وما المنهج القرآني في مواجهته؟

الدراسات السابقة

الدراسة الأولى

عبد الكريم **زيدان**، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

تناول المؤلف مواقف الأنبياء عليهم السلام في مواجهة التكذيب والسخرية والأذى الذي تعرضوا له من أقوامهم، وبيّن الأساليب الدعوية والتربوية التي اتبعوها في التعامل مع تلك المواقف. وقد أفادت هذه الدراسة في بيان بعض صور الاستفزاز التي واجهها الأنبياء، إلا أنها لم تتناول مفهوم الاستفزاز دراسة موضوعية مستقلة في القرآن الكريم.

الدراسة الثانية

محمد أحمد **خلف الله**، الفن القصصي في القرآن الكريم، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٩٩م.اهتمت الدراسة بتحليل البناء الفني للقصص القرآني، وما يتضمنه من حوارات وصراعات ومواقف بين الأنبياء وأقوامهم، ومن بينها صور السخرية والتحدي والرفض. واستفاد البحث من هذه الدراسة في تحليل بعض السياقات القرآنية المرتبطة بالاستفزاز، مع اختلاف موضوع الدراسة الحالية عنها.

الدراسة الثالثة

محمد عبد الله **دراز**، دستور الأخلاق في القرآن، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الطبعة العاشرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م.

تناولت الدراسة المنظومة الأخلاقية في القرآن الكريم، وأبرزت القيم المرتبطة بضبط النفس والصبر والحلم والعفو والإحسان. وقد استفاد البحث منها في الجانب المتعلق بالمعالجة الأخلاقية للاستفزاز، بينما يختص البحث الحالي بدراسة آيات الاستفزاز وصوره وأهدافه في القرآن الكريم.

وجه الإفادة من الدراسات السابقة

استفاد البحث من الدراسات السابقة في تأصيل الجوانب التربوية والأخلاقية المتعلقة بالاستفزاز، وتحليل بعض النماذج القرآنية المرتبطة به، إلا أنه يتميز عنها بدراسة آيات الاستفزاز دراسة موضوعية مستقلة تجمع مواضعها في القرآن الكريم، وتكشف عن صورها وأهدافها والمنهج القرآني في مواجهتها.

منهجية البحث

اعتمد البحث المنهج الموضوعي التحليلي، وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالاستفزاز وما يرتبط به من مفاهيم، ثم تصنيفها وفق محاور موضوعية، وتحليل دلالاتها في ضوء السياق القرآني وأقوال المفسرين، مع استنباط الأبعاد التربوية والأخلاقية التي تتضمنها، وصولًا إلى بيان المنهج القرآني في مواجهة الاستفزاز والإفادة منه في معالجة بعض الظواهر المعاصرة.

المبحث الأول الاستفزاز في القرآن الكريم: المفهوم والدلالات

المطلب الأول: مفهوم الاستفزاز لغةً واصطلاحًا

أولًا: الاستفزاز في اللغة

يرجع لفظ الاستفزاز إلى الجذر اللغوي (فزز)، وهو من الألفاظ التي تدور معانيها حول التحريك والإزعاج والاستخفاف. وقد أشار الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى أن مادة (فزز) تدل على الانزعاج والحركة السريعة الناتجة عن مؤثر يدفع الإنسان أو غيره إلى التحرك من موضعه أو حالته التي كان عليها (الفراهيدي، ١٩٨٨، ج٧، ص٣٤٣-٣٤٤، مادة "فز")، كما ذكر ابن فارس أن أصل المادة يدل على الخفة والتحريك والإثارة، ومنه قولهم: "استفزه" إذا استخفه وأزعجه وحمله على الحركة والانتقال(ابن فارس، ١٩٧٩، ج٤، ص٤٥٠، مادة "فز"). وبيّن الراغب الأصفهاني أن الاستفزاز يعني حمل الإنسان على التحرك بسرعة أو إخراجه عن حال الاستقرار والثبات إلى حال أخرى بفعل مؤثر خارجي، سواء كان هذا التأثير ماديًا أم معنويًا(الأصفهاني، ١٩٩٢، ص٦٣٧، مادة "فز")، ومن خلال هذه الدلالات اللغوية يتضح أن الاستفزاز يرتبط بفعل التأثير المقصود الذي يستهدف إحداث تغير في موقف الإنسان أو سلوكه أو حالته النفسية.

ثانيًا: الاستفزاز في الاصطلاح القرآني

لم يرد للاستفزاز تعريف اصطلاحي مستقل عند المتقدمين بوصفه مصطلحًا علميًا قائمًا بذاته، غير أن تتبع الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا اللفظ، وما ذكره المفسرون في بيان معانيه، يسمح باستخلاص مفهوم عام له في ضوء الاستعمال القرآني. ويمكن تعريف الاستفزاز في المنظور القرآني بأنه: "محاولة التأثير في الإنسان وإثارة دوافعه أو انفعالاته أو أفكاره بقصد حمله على ترك الحق أو تغيير موقفه أو زعزعة استقراره النفسي والفكري". ويلاحظ أن هذا المفهوم يجمع بين البعد النفسي والبعد السلوكي، إذ إن الاستفزاز لا يقف عند حدود الإثارة أو التأثير، بل يهدف إلى إحداث استجابة معينة لدى المستفَز. وقد ورد لفظ الاستفزاز في القرآن الكريم بصيغ متعددة، من أشهرها قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] .وقد فسر الطبري الاستفزاز هنا بمعنى الاستخفاف والإغواء والإضلال، أي حمل الإنسان على اتباع الباطل والانصراف عن طريق الحق(الطبري، ٢٠٠١، ج١٤، ص٦٤٤-٦٤٥)، كما ذهب الزمخشري إلى أن المراد هو استمالة الإنسان إلى المعصية بكل وسيلة ممكنة من وسائل الإغراء والتزيين(الزمخشري، ١٩٨٧، ج٢، ص٦٧٧).وورد اللفظ أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦]، حيث استُعمل للدلالة على محاولات المشركين التضييق على النبي صلى الله عليه وسلم وإزعاجه وحمله على مغادرة موطنه. وقد أشار المفسرون إلى أن الاستفزاز هنا يتضمن معاني الإزعاج والضغط النفسي والسعي إلى الإخراج والإبعاد(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٥، ص١٦٤-١٦٥).

المطلب الثاني: الألفاظ القرآنية ذات الصلة بالاستفزاز

أولًا: الفتنة وعلاقتها بالاستفزاز

تُعد الفتنة من أكثر الألفاظ القرآنية اتصالًا بمفهوم الاستفزاز؛ لما تتضمنه من معاني الاختبار والإثارة والتأثير في المواقف والسلوكيات. وقد وردت مادة (فتن) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بدلالات متنوعة، منها الابتلاء والامتحان والإضلال والصرف عن الحق(الأصفهاني، ١٩٩٢، ص٦٢٣، مادة "فتن"). وتكشف الدراسة السياقية للآيات القرآنية أن الفتنة تتضمن في كثير من الأحيان محاولة التأثير في الإنسان وإخراجه عن حالة الثبات والاستقامة، وهو معنى يقترب من مفهوم الاستفزاز. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، حيث فسر المفسرون الفتنة هنا بما يشمل صرف المؤمن عن دينه ومحاولة التأثير على عقيدته وإيمانه(الطبري، ٢٠٠١، ج٣، ص٥٦٣). ويظهر من ذلك أن الاستفزاز قد يكون وسيلة من وسائل الفتنة، وأن الفتنة تمثل نتيجة أو أثرًا مترتبًا على عمليات التأثير والإثارة التي تستهدف الإنسان في عقيدته أو سلوكه.

ثانيًا: الإغواء والإضلال

يرتبط مفهوم الإغواء ارتباطًا وثيقًا بالاستفزاز في القرآن الكريم، إذ يشير إلى محاولة دفع الإنسان نحو الانحراف عن طريق الحق باتباع وسائل التأثير المختلفة. وقد وردت مادة (غوى) في سياقات متعددة، أبرزها ما جاء على لسان إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحجر: ٣٩] (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٤، ص٥٣١). ويكشف هذا النص عن أن الإغواء يقوم على التأثير النفسي والفكري من خلال التزيين والخداع وإثارة الرغبات، وهي وسائل تتقاطع مع مفهوم الاستفزاز الذي يهدف إلى دفع الإنسان نحو موقف أو سلوك معين. كما أن الإضلال الذي ورد في مواضع متعددة من القرآن الكريم يمثل صورة من صور التأثير التي تؤدي إلى انحراف الإنسان عن طريق الهداية(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١، ص١٧٤-١٧٥).

ثالثًا: النزغ والهمز

يُعد النزغ من الألفاظ ذات الصلة الوثيقة بالاستفزاز، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] . وقد فسر المفسرون النزغ بأنه الوسوسة والإفساد والتحريك نحو الغضب أو الانفعال أو الوقوع في الخطأ(الزمخشري، ١٩٨٧، ج٢، ص١٩١). أما الهمز فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧] .والمقصود به ما يلقيه الشيطان من وساوس وإثارات نفسية تدفع الإنسان إلى الانفعال أو الانحراف(الرازي، ١٩٩٩، ج٢٣، ص١٠٢).وتتقاطع هذه المعاني مع مفهوم الاستفزاز في كونها تعتمد على إثارة الدوافع والانفعالات وتحريك الإنسان باتجاه معين، مما يجعلها من المفاهيم القرآنية القريبة منه دلالة ووظيفة.

رابعًا: الاستهزاء والسخرية

يمثل الاستهزاء أحد الأساليب التي استخدمها أعداء الأنبياء في مواجهة الدعوة الإلهية، وقد ورد ذكره في مواضع عديدة من القرآن الكريم. ويُعد الاستهزاء صورة من صور الاستفزاز النفسي التي تستهدف إضعاف الثقة بالنفس أو إثارة الغضب والانفعال لدى الطرف الآخر. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ١٠]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩] (ابن عطية، ٢٠٠١، ج٢، ص٢٦٤). وقد أظهر القرآن الكريم أن الاستهزاء كان وسيلة من وسائل الضغط النفسي والاستفزاز التي واجه بها المشركون الأنبياء والمؤمنين، بهدف صرفهم عن دعوتهم أو زعزعة ثباتهم.

خامسًا: التحريض والإثارة

ومن الألفاظ القريبة من الاستفزاز كذلك التحريض، الذي يعني الحث والدفع إلى اتخاذ موقف أو القيام بفعل معين. وقد ورد هذا المعنى في عدد من الآيات التي تناولت تحريض المشركين بعضهم بعضًا على مواجهة الدعوة الإسلامية أو إثارة العداوة والبغضاء بين الناس(عبد الباقي، د.ت.، ص١٩٨، مادة "حرض"). ويكشف التحليل الموضوعي لهذه الألفاظ أن القرآن الكريم يقدم منظومة متكاملة من المفاهيم المرتبطة بالتأثير النفسي والفكري في الإنسان، وأن الاستفزاز يمثل أحد أبرز هذه المفاهيم وأكثرها شمولًا؛ لأنه يجمع بين معاني الإغراء والإثارة والتحريك والضغط النفسي والسعي إلى تغيير المواقف والاتجاهات.

المطلب الثالث: مواضع الاستفزاز في القرآن الكريم وسياقاتها الموضوعية

تكتسب دراسة مواضع الاستفزاز في القرآن الكريم أهمية خاصة في إطار التفسير الموضوعي؛ لأنها تسهم في الكشف عن طبيعة هذا المفهوم وأبعاده الدلالية من خلال تتبع السياقات التي ورد فيها. فالألفاظ القرآنية لا تُفهم بمعزل عن سياقاتها، وإنما تتحدد معانيها ووظائفها من خلال البنية النصية التي ترد فيها والموضوعات التي تعالجها. وعند استقراء الآيات التي ورد فيها لفظ الاستفزاز ومشتقاته يتبين أن القرآن الكريم استخدمه في سياقات متعددة ترتبط بالصراع بين الحق والباطل، وبمحاولات التأثير في الإنسان وإبعاده عن منهج الهداية والاستقامة(عبد الباقي، د.ت.، ص٥١٩، مادة "فزز"). ومن أبرز المواضع التي ورد فيها لفظ الاستفزاز قوله تعالى في خطاب إبليس: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] .ويُعد هذا الموضع من أهم النصوص القرآنية التي تكشف عن مفهوم الاستفزاز في بعده العقدي والتربوي؛ إذ جاء في سياق بيان عداوة الشيطان للإنسان ووسائله في الإضلال والإغواء. وقد فسر المفسرون الاستفزاز هنا بمعنى الاستخفاف والاستمالة إلى المعصية والتأثير في النفس الإنسانية بوسائل متعددة تؤدي إلى الانحراف عن منهج الله تعالى(الطبري، ٢٠٠١، ج١٤، ص٦٤٤-٦٤٦). ويظهر من هذا السياق أن الاستفزاز لا يُراد به مجرد الإثارة أو التحريك، وإنما يتجاوز ذلك إلى محاولة السيطرة على توجهات الإنسان الفكرية والسلوكية وصرفه عن الحق. كما يكشف النص عن أن الاستفزاز الشيطاني يعتمد وسائل متنوعة، منها الوسوسة والتزيين والإغراء وإثارة الشهوات، وهي وسائل تستهدف زعزعة التوازن النفسي والديني للإنسان.أما الموضع الثاني، فهو قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦] .وقد وردت الآية في سياق الحديث عن موقف المشركين من النبي صلى الله عليه وسلم ومحاولاتهم المستمرة للتضييق عليه وإبعاده عن موطن دعوته. ويشير الاستفزاز هنا إلى نوع من الضغط النفسي والاجتماعي الذي يمارسه الخصوم من أجل دفع الطرف الآخر إلى مغادرة مكانه أو التخلي عن موقفه(السيوطي والمحلي، د.ت.، ص١٦٤-١٦٥). وتكشف هذه الآية عن صورة أخرى من صور الاستفزاز تتمثل في الاستفزاز البشري الذي يستهدف التأثير في الثبات النفسي والفكري للإنسان. كما تبين أن الاستفزاز قد يُستخدم وسيلة للضغط والإقصاء وإجبار الآخرين على تغيير مواقفهم أو التخلي عن مبادئهم، وهو ما يجعل المفهوم ذا أبعاد اجتماعية وسياسية تتجاوز الجانب الفردي. وعند النظر في السياق العام لسورة الإسراء التي وردت فيها الآيتان، يتبين أن الاستفزاز جاء مرتبطًا بقضيتين أساسيتين: الأولى عداوة الشيطان للإنسان وسعيه لإضلاله، والثانية عداوة أهل الباطل للحق ومحاولتهم محاربة الدعوة الإلهية. وهذا الارتباط يكشف عن أن الاستفزاز في المنظور القرآني يمثل أداة من أدوات الصراع بين الحق والباطل، سواء كان مصدره الشيطان أم الإنسان. كما أن تتبع الآيات ذات الصلة بالمفهوم يكشف عن حضور معانٍ

قريبة من الاستفزاز في سياقات أخرى، مثل السخرية والاستهزاء والتحريض والفتنة والإغواء، وهي جميعها صور من التأثير المقصود الذي يستهدف إضعاف الثبات النفسي أو الفكري لدى الإنسان. ومن ذلك ما تعرض له الأنبياء عليهم السلام من استهزاء وسخرية من أقوامهم، وما تعرض له المؤمنون من ضغوط اجتماعية ونفسية هدفت إلى صدهم عن الإيمان أو التأثير في مواقفهم(الزمخشري، ١٩٩٢، ص٥٤٧).وتشير هذه السياقات إلى أن القرآن الكريم لا يتعامل مع الاستفزاز بوصفه مجرد حالة انفعالية عابرة، بل يقدمه باعتباره ظاهرة إنسانية ذات أبعاد تربوية واجتماعية وأخلاقية. ولذلك جاءت التوجيهات القرآنية مركزة على بناء الشخصية القادرة على مواجهة الاستفزاز بالصبر والحكمة وضبط النفس وعدم الانجرار وراء ردود الأفعال المتسرعة. وهذا ما يتجلى في الآيات التي تأمر بالإعراض عن الجاهلين، وكظم الغيظ، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن(ابن كثير، ١٤٠١هـ، ص٦١). ومن خلال التحليل الموضوعي لهذه المواضع يتبين أن الاستفزاز في القرآن الكريم يرتبط بثلاثة مجالات رئيسة: المجال العقدي الذي يتمثل في محاولات صرف الإنسان عن الإيمان والهداية، والمجال النفسي الذي يستهدف إثارة الانفعالات والمشاعر السلبية، والمجال الاجتماعي الذي يظهر في صور الضغط والتحريض والإقصاء. كما يتبين أن المنهج القرآني في مواجهة هذه الظاهرة يقوم على تعزيز الثبات النفسي والإيماني، وترسيخ قيم الحكمة والصبر والتوازن في التعامل مع المواقف المثيرة للاستفزاز.

المبحث الثاني صور الاستفزاز في القرآن الكريم وأهدافه

المطلب الأول: الاستفزاز العقدي والفكري

يُعد الاستفزاز العقدي والفكري من أخطر صور الاستفزاز التي تناولها القرآن الكريم؛ لارتباطه المباشر بعقيدة الإنسان وفكره وقناعاته، ولما يترتب عليه من آثار تتجاوز الجانب الفردي لتشمل المجتمع بأسره. وقد كشف القرآن الكريم عن صور متعددة من هذا النوع من الاستفزاز مارستها قوى الكفر والضلال في مواجهة الأنبياء والرسل وأتباعهم، بهدف التشكيك في العقيدة الصحيحة، وزعزعة الثقة بالرسالة الإلهية، وصرف الناس عن الإيمان والالتزام بمنهج الحق. ومن خلال تتبع الآيات القرآنية يتبين أن هذا النوع من الاستفزاز يمثل أحد الأساليب المتكررة في تاريخ الصراع بين الحق والباطل(الشنقيطي، ١٩٩٥، ص٥٦٣). ومن أبرز صور الاستفزاز العقدي التي عرضها القرآن الكريم التشكيك في صدق الرسالة والنبوة. فقد واجه الأنبياء عليهم السلام حملات متواصلة من التشكيك والسخرية والاتهام، استهدفت النيل من مكانتهم والتأثير في أتباعهم. ومن ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن موقف أقوام الأنبياء من رسلهم، كقولهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقولهم: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [الشعراء: ١٥٤] .وقد هدفت هذه الأقوال إلى إثارة الشكوك حول أهلية الرسل لحمل الرسالة الإلهية، وإقناع الناس بعدم تصديقهم، وهو ما يمثل صورة واضحة من صور الاستفزاز الفكري والعقدي(ابن كثير، ١٩٩٩، ج٤، ص٤٨٥).كما عرض القرآن الكريم نماذج أخرى من الاستفزاز العقدي تمثلت في إثارة الشبهات الفكرية حول العقائد الدينية. فقد لجأ المشركون إلى طرح تساؤلات واعتراضات ظاهرها البحث والاستفهام، بينما كان مقصدها الحقيقي التشكيك والتأثير في إيمان المؤمنين. ومن ذلك قولهم: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] .وقد تكررت هذه الشبهة في مواضع عديدة من القرآن الكريم، مما يدل على أنها كانت وسيلة فكرية لإثارة الشكوك حول قضية البعث والحساب(السعدي، ٢٠٠٠، ص١٩٣). ويُظهر التفسير الموضوعي للآيات أن هذه الأساليب لم تكن مجرد مناقشات فكرية بريئة، بل كانت جزءًا من استراتيجية تستهدف زعزعة اليقين العقدي لدى الأفراد وإضعاف الثقة بالوحي والرسالة. ولذلك تصدى القرآن الكريم لهذه الشبهات بأساليب متنوعة تجمع بين البرهان العقلي والدليل الحسي والاستدلال الكوني، مما يكشف عن أهمية تحصين العقل المؤمن في مواجهة محاولات الاستفزاز الفكري(الرازي، ١٩٩٩، ج٢٣، ص٨٩). ومن صور الاستفزاز العقدي كذلك السخرية من المؤمنين ومن شعائر الدين. وقد سجل القرآن الكريم العديد من المواقف التي تعرض فيها المؤمنون للاستهزاء بسبب إيمانهم وتمسكهم بعقيدتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩] .ويُفهم من هذه الآية أن الاستهزاء لم يكن مجرد سلوك اجتماعي، بل كان وسيلة ضغط نفسي وفكري تهدف إلى إضعاف عزيمة المؤمنين والتأثير في ثباتهم العقدي(ابن عطية، ٢٠٠١، ج٥، ص٤٦١). كما تتجلى صورة أخرى من صور الاستفزاز الفكري في محاولة صرف الناس عن سماع القرآن الكريم والتدبر في آياته. فقد حكى القرآن عن موقف المشركين بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] .ويكشف هذا النص عن محاولة منظمة لمنع تأثير القرآن في النفوس والعقول، من خلال التشويش على تلاوته وإثارة الضجيج حوله. وهذا النوع من الاستفزاز الفكري يستهدف تعطيل عملية التفكير الحر ومنع وصول الحق إلى الناس(الطبري، ١٤٠٥هـ، ص٢٧٦).ومن أخطر صور الاستفزاز العقدي التي أبرزها القرآن الكريم الاستفزاز الشيطاني الذي يقوم على تزيين الباطل وإثارة الشبهات والشهوات في نفوس الناس. فالشيطان لا يكتفي بالدعوة المباشرة إلى المعصية، بل يسعى إلى إعادة تشكيل التصورات والمفاهيم بطريقة تجعل الباطل مقبولًا والحق مستغربًا. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النحل: ٦٣] (البيضاوي، ١٩٩٦، ص٢١٠).

المطلب الثاني: الاستفزاز النفسي والاجتماعي

يُعدُّ الاستفزاز النفسي والاجتماعي من أبرز صور الاستفزاز التي تناولها القرآن الكريم؛ لما يترتب عليه من آثار مباشرة في سلوك الأفراد واستقرار المجتمعات. فالإنسان بطبيعته يتأثر بالكلمة والموقف والنظرة الاجتماعية، وقد تستهدفه بعض الممارسات بقصد إثارة مشاعره السلبية أو دفعه إلى ردود أفعال غير متزنة. ومن هنا كشف القرآن الكريم عن جملة من الأساليب التي تُستخدم للتأثير في الجانب النفسي والاجتماعي للإنسان، محذرًا من آثارها السلبية على العلاقات الإنسانية وعلى تماسك المجتمع ووحدته. كما وضع منهجًا تربويًا متكاملًا لمواجهة هذه الممارسات والحد من آثارها(الطبري، ٢٠٠١، ج٣، ص٥٦٣). ومن أبرز صور الاستفزاز النفسي التي عرضها القرآن الكريم السخرية والاستهزاء بالآخرين. فقد نهى الله تعالى عن هذا السلوك لما يتضمنه من احتقار للناس وإثارة لمشاعرهم وإلحاق الأذى النفسي بهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١] .ويكشف هذا التوجيه القرآني عن إدراك عميق لآثار السخرية في النفوس، إذ تؤدي إلى إشاعة الكراهية والبغضاء وإثارة مشاعر الإهانة والعداء بين أفراد المجتمع(مغنية، ١٩٨١، ص٢٤٧).وقد سجل القرآن الكريم نماذج متعددة من استهزاء الكافرين بالأنبياء والرسل عليهم السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ١٠] .وكان الهدف من هذا الاستهزاء في كثير من الأحيان إضعاف الثقة بالرسل والتأثير في أتباعهم وإثارة الشكوك حول دعوتهم. ومن ثم فإن الاستهزاء يمثل صورة من صور الاستفزاز النفسي التي تستهدف النيل من الكرامة المعنوية للإنسان وإرباكه نفسيًا واجتماعيًا(ابن كثير، ١٩٩٩، ج٣، ص٢٤٤-٢٤٥). ومن صور الاستفزاز الاجتماعي التي اهتم القرآن الكريم بمعالجتها التنابز بالألقاب واللمز والهمز. فقد نهى الله تعالى عن هذه السلوكيات في قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]، وقوله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] .ويشير الهمز واللمز إلى الطعن في الآخرين والانتقاص منهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهي ممارسات تؤدي إلى إثارة النزاعات وإضعاف الروابط الاجتماعية داخل المجتمع(الزمخشري، ١٩٨٧، ج٤، ص٣٦٦).كما تناول القرآن الكريم ظاهرة الإشاعات وما تسببه من اضطراب نفسي واجتماعي، إذ تُعد الإشاعة من الوسائل التي تُستخدم للتأثير في الرأي العام وإثارة القلق والشكوك بين الناس. وقد ظهر ذلك بوضوح في حادثة الإفك التي تناولتها سورة النور، حيث كشف القرآن الكريم خطورة تداول الأخبار دون تثبت، وأثر ذلك في استقرار المجتمع وأمنه النفسي. ويُفهم من هذه المعالجة القرآنية أن نشر الشائعات يمثل صورة من صور الاستفزاز الاجتماعي التي تستهدف زعزعة الثقة وإثارة التوتر والاضطراب بين أفراد المجتمع(ابن عطية، ٢٠٠١، ج٤، ص١٦٩). ومن صور الاستفزاز الاجتماعي كذلك إثارة العصبيات والانقسامات بين الناس. فالقرآن الكريم دعا إلى وحدة المجتمع والتعاون بين أفراده، وحذر من كل ما يؤدي إلى الفرقة والنزاع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] .ويكشف هذا التوجيه أن النزاعات والصراعات الاجتماعية كثيرًا ما تبدأ بممارسات استفزازية تهدف إلى إثارة الأحقاد أو استغلال الاختلافات لتحقيق مكاسب خاصة، وهو ما يؤدي في النهاية إلى إضعاف المجتمع وتفكيك وحدته(الرازي، ١٩٩٤، ص١٨٥).كما أبرز القرآن الكريم أثر التحريض في إشعال النزاعات الاجتماعية وإثارة العداوات بين الناس. فالتحريض يقوم على دفع الأفراد أو الجماعات إلى اتخاذ مواقف عدائية تجاه الآخرين، وغالبًا ما يعتمد على إثارة المشاعر والانفعالات السلبية. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع من السلوك في سياقات متعددة تتعلق بمواقف المنافقين والمشركين ومحاولاتهم التأثير في المجتمع الإسلامي وإثارة الفتن داخله(الأصفهاني، ١٩٩٢، ص٢٢٣-٢٢٤، مادة "حرض"). ويلاحظ أن القاسم المشترك بين هذه الصور جميعًا هو أنها تستهدف الجانب النفسي والاجتماعي للإنسان، وتسعى إلى التأثير في مشاعره أو مواقفه أو علاقاته بالآخرين. ولذلك جاء المنهج القرآني قائمًا على حماية الكرامة الإنسانية وتعزيز الاحترام المتبادل ونشر قيم الأخوة والتسامح والعفو والإحسان. كما دعا إلى ضبط اللسان وتجنب كل ما يؤدي إلى إيذاء الآخرين أو إثارة النزاعات بينهم.ومن الوسائل التي قدمها القرآن الكريم لمواجهة الاستفزاز النفسي والاجتماعي تعزيز قيمة الصبر وضبط النفس، وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة، قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤] .كما دعا إلى العفو والإصلاح بين الناس، وإلى التثبت من الأخبار قبل نشرها، وإلى تجنب الظنون وسوء الفهم، وهي جميعها مبادئ تسهم في الحد من آثار الاستفزاز وتحقيق الاستقرار الاجتماعي(أبو حيان، ٢٠٠٠، ج٩، ص٢٩٥)، ومن خلال التأمل في هذه التوجيهات يتبين أن القرآن الكريم لا يقتصر على تشخيص الظاهرة، بل يقدم منظومة أخلاقية وتربوية متكاملة لمعالجتها. فمواجهة الاستفزاز النفسي والاجتماعي لا تتحقق بمجرد الرد على السلوك المسيء، وإنما تتحقق من خلال بناء شخصية متزنة قادرة على التحكم في انفعالاتها والتعامل بحكمة مع المواقف المثيرة للتوتر، بما يحفظ للفرد كرامته وللمجتمع تماسكه واستقراره.

المطلب الثالث: الاستفزاز الشيطاني وأثره في السلوك الإنساني

يُعد الاستفزاز الشيطاني من أخطر صور الاستفزاز التي عرضها القرآن الكريم؛ لأنه يرتبط بعدو ملازم للإنسان يسعى بصورة دائمة إلى التأثير في أفكاره ومشاعره وسلوكياته، وصرفه عن منهج الهداية والاستقامة. وقد أولى القرآن الكريم هذا النوع من الاستفزاز عناية كبيرة، فكشف عن طبيعته وأدواته وأهدافه وآثاره، كما بيّن الوسائل الكفيلة بمواجهته والوقاية منه. وتتبع أهمية دراسة الاستفزاز الشيطاني من كونه يمثل أصلًا لكثير من صور الانحراف الفكري والأخلاقي والاجتماعي التي يقع فيها الإنسان، الأمر الذي يجعله محورًا أساسًا في فهم طبيعة الصراع بين الإنسان والشيطان في التصور القرآني(الطبري، ٢٠٠١، ج١٤، ص٦٣٩). ومن أبرز النصوص القرآنية التي تناولت هذا الموضوع قوله تعالى مخاطبًا إبليس: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤] .وتُعد هذه الآية من أكثر الآيات وضوحًا في بيان مفهوم الاستفزاز الشيطاني، إذ تضمنت أمرًا إلهيًا لإبليس على سبيل التهديد والوعيد، ببيان ما أُذن له من وسائل الابتلاء والاختبار للإنسان(النسفي، ١٣٤٤هـ، ص١٤٨). وقد فسر المفسرون قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ بمعنى استخفهم واستملهم واجذبهم نحو المعصية بكل وسيلة تستطيعها. وذهب الطبري إلى أن المراد هو حمل الإنسان على الطاعة للشيطان والانقياد لأوامره من خلال الإغراء والتزيين والإضلال(الطبري، ٢٠٠١، ج١٤، ص٦٤٦). كما أشار الزمخشري إلى أن الاستفزاز هنا يتضمن كل وسيلة تؤدي إلى التأثير في الإنسان وصرفه عن الحق، سواء أكانت بالكلمة أم بالفعل أم بالإغراء النفسي والفكري(ابن عطية، ١٩٩٣، ص٦٧٧)ويكشف هذا النص أن الاستفزاز الشيطاني لا يعتمد على الإكراه المباشر، وإنما يقوم على التأثير التدريجي في النفس الإنسانية. فالشيطان لا يملك إجبار الإنسان على المعصية، وإنما يعمل على إثارة الدوافع والشهوات، وتزيين الباطل، وإخفاء العواقب السلبية للأفعال، حتى يدفع الإنسان إلى اتخاذ القرار بنفسه. ولهذا وصف القرآن الكريم الشيطان بأنه يزين الأعمال ويعد الناس بالأماني الكاذبة، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠] (ابن كثير، ١٩٩٩، ج٢، ص٤١٨). ومن أبرز وسائل الاستفزاز الشيطاني التي ذكرها القرآن الكريم الوسوسة، وهي التأثير الخفي في النفس الإنسانية من خلال إلقاء الخواطر والأفكار التي تدفع الإنسان نحو الانحراف أو التردد أو الشك. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٤-٥] .وتُعد الوسوسة من أخطر وسائل الاستفزاز؛ لأنها تستهدف الجانب الداخلي للإنسان وتعمل على التأثير في قراراته وقناعاته دون أن يشعر بذلك في كثير من الأحيان(الأصفهاني، ١٩٩٢، ص٨٦٩، مادة "وسوس").كما يعتمد الاستفزاز الشيطاني على إثارة الشهوات والرغبات النفسية، وتقديمها بصورة جذابة تدفع الإنسان إلى تجاوز الحدود الشرعية والأخلاقية. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النحل: ٦٣] .ويظهر من هذا النص أن التزيين يمثل عملية نفسية تهدف إلى تغيير نظرة الإنسان إلى الأفعال، بحيث يرى القبيح حسنًا، والباطل حقًا، والمعصية أمرًا مقبولًا أو مبررًا(الرازي، ١٩٩٩، ج٢٠، ص٥٣)ومن الوسائل الأخرى التي يعتمد عليها الاستفزاز الشيطاني إثارة الخوف والقلق واليأس في نفوس الناس. فالشيطان يسعى إلى إضعاف الثقة بالله تعالى وإشاعة مشاعر العجز والإحباط، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .كما يحاول إقناع الإنسان بعدم جدوى الطاعة أو استحالة التغيير أو استبعاد المغفرة، مما يؤثر في سلوكه ويضعف دافعيته نحو الخير والعمل الصالح(الزمخشري، ١٩٩٧، ص٥٣٤-٥٣٥)أما من حيث الآثار، فإن الاستفزاز الشيطاني يترك آثارًا عميقة في السلوك الإنساني، تبدأ باضطراب الفكر واختلال التصورات، ثم تمتد إلى الانحراف السلوكي والأخلاقي. فالوساوس والشبهات قد تؤدي إلى ضعف اليقين، كما أن تزيين المعاصي قد يقود إلى الوقوع في الذنوب والمخالفات، في حين أن إثارة الأحقاد والشهوات قد تؤدي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية وانتشار النزاعات بين الناس(أبو حيان، ٢٠٠٠، ج٦، ص٥٥). ولم يقتصر القرآن الكريم على بيان وسائل الاستفزاز الشيطاني وآثاره، بل وضع منهجًا وقائيًا وعلاجيًا لمواجهته. ومن أبرز وسائل الوقاية الاستعاذة بالله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] .كما دعا إلى دوام ذكر الله، والتمسك بالوحي، ومراقبة النفس، والتفكر في عواقب الأفعال، وعدم الاستجابة للدوافع الانفعالية التي يحاول الشيطان إثارتها(ابن كثير، ١٩٩٩، ج٣، ص٥٣٤-٥٣٥).

المبحث الثالث المنهج القرآني في مواجهة الاستفزاز وآثاره التربوية

المطلب الأول: أساليب القرآن الكريم في مواجهة الاستفزاز

بعد أن كشف القرآن الكريم عن صور الاستفزاز المختلفة وأهدافها وآثارها في حياة الإنسان، بيّن كذلك المنهج الأمثل لمواجهتها والتعامل معها. ويتميز المنهج القرآني في هذا المجال بالشمول والتوازن؛ إذ لا يقتصر على معالجة السلوك الظاهر، بل يمتد إلى بناء الإنسان من الداخل وتقوية جوانبه الإيمانية والنفسية والعقلية، بما يجعله أكثر قدرة على مقاومة المؤثرات السلبية وضبط انفعالاته ومواقفه. ومن خلال استقراء الآيات القرآنية يتبين أن القرآن الكريم اعتمد جملة من الأساليب التربوية والأخلاقية في مواجهة الاستفزاز، من أبرزها الصبر والحلم، والحوار بالحكمة، والإعراض

عن الجاهلين، وضبط الانفعال والانتقام(الطبري، ٢٠٠١، ج٣، ص٥٦٣). ويأتي الصبر في مقدمة الوسائل القرآنية لمواجهة الاستفزاز؛ لأنه يمثل القوة النفسية التي تمكّن الإنسان من الثبات أمام الضغوط والمؤثرات المختلفة. وقد تعرض الأنبياء عليهم السلام لألوان متعددة من الاستفزاز والسخرية والتكذيب، ومع ذلك أمرهم الله تعالى بالصبر وعدم الاستجابة للضغوط النفسية التي مارسها خصومهم، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [طه: ١٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] .وتكشف هذه التوجيهات عن أن الصبر ليس مجرد احتمال للأذى، بل هو موقف واعٍ يهدف إلى منع المستفِز من تحقيق أهدافه وإرباك الإنسان أو دفعه إلى ردود أفعال غير محسوبة(ابن كثير، ١٩٩٩، ج٥، ص٣٣١، ج٤، ص٦١٢-٦١٣)كما يؤكد القرآن الكريم أهمية الحلم وضبط النفس عند التعرض للاستفزاز، وهو ما يظهر في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] .فالغضب يُعد من أكثر الانفعالات التي يسعى المستفِز إلى إثارتها؛ لأنه يؤدي في كثير من الأحيان إلى قرارات متسرعة ومواقف غير متزنة. ومن هنا جاءت التوجيهات القرآنية داعية إلى التحكم في الانفعالات وعدم الانسياق وراء ردود الفعل العاطفية، حفاظًا على التوازن النفسي والاجتماعي للإنسان(القرطبي، ١٣٧٣هـ، ص٨٩). ومن الأساليب القرآنية المهمة في مواجهة الاستفزاز اعتماد الحوار القائم على الحكمة والبرهان. فالقرآن الكريم لم يواجه الشبهات والاستفزازات الفكرية بالعنف أو الانفعال، وإنما اعتمد أسلوب الإقناع والحجة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] .ويكشف هذا التوجيه عن أن الحوار الهادئ يمثل وسيلة فعالة لإبطال آثار الاستفزاز الفكري والعقدي، كما يسهم في ترسيخ ثقافة الاحترام والتفاهم بين الناس(الزمخشري، ١٩٨٧، ج٢، ص٦٤١-٦٤٢). كما دعا القرآن الكريم إلى الإعراض عن الجاهلين وعدم الانجرار وراء الاستفزازات التي تهدف إلى إثارة النزاعات أو إشاعة التوتر. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقوله سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .ويُظهر هذا المنهج أن عدم الاستجابة لبعض أنواع الاستفزاز يمثل في كثير من الأحيان صورة من صور القوة والحكمة، لأنه يحرم المستفِز من تحقيق مقصده ويمنع تفاقم النزاع(ابن عطية، ٢٠٠١، ج٤، ص٢١٢)ومن الأساليب القرآنية كذلك الدفع بالحسنى، وهو مبدأ يقوم على مقابلة الإساءة بالإحسان والعداوة بالمعاملة الحسنة. قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] .ويكشف هذا التوجيه عن بعد تربوي عميق؛ إذ يهدف إلى تحويل العلاقة من دائرة الصراع إلى دائرة الإصلاح والتقارب، ويعكس قدرة الأخلاق الفاضلة على معالجة آثار الاستفزاز بصورة أكثر فاعلية من ردود الفعل الانفعالية(الرازي، ١٩٩٩، ج٢٧، ص١٢٤). كما ربط القرآن الكريم مواجهة الاستفزاز بالاستعانة بالله تعالى والاعتصام به، ولا سيما في مواجهة الاستفزاز الشيطاني. فقد أمر الله تعالى بالاستعاذة عند التعرض للوساوس والنزغات الشيطانية، فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] . ويشير هذا التوجيه إلى أن البعد الإيماني يمثل عنصرًا أساسيًا في حماية الإنسان من التأثيرات السلبية التي تستهدف فكره وسلوكه ومشاعره(أبو حيان، ٢٠٠٠، ج٥، ص٢٦٨).

المطلب الثاني: الآثار التربوية والأخلاقية لمواجهة الاستفزاز

لا تقف أهمية المنهج القرآني في مواجهة الاستفزاز عند حدود معالجة المواقف الآنية أو الحد من آثارها المباشرة، بل تمتد إلى بناء منظومة تربوية وأخلاقية متكاملة تسهم في تكوين شخصية متوازنة قادرة على التعامل مع التحديات المختلفة بوعي وحكمة. فالاستفزاز يمثل اختبارًا حقيقيًا لمدى قدرة الإنسان على التحكم في انفعالاته والالتزام بقيمه ومبادئه عند التعرض للضغوط والمؤثرات الخارجية. ومن هنا جاءت التوجيهات القرآنية الهادفة إلى تحويل مواقف الاستفزاز من مجرد مواقف انفعالية إلى فرص تربوية تسهم في تهذيب النفس وتنمية الفضائل الأخلاقية وتعزيز الاستقرار الفردي والاجتماعي(الطبري، ٢٠٠١، ج٣، ص٥٦٤). ومن أبرز الآثار التربوية التي تترتب على الالتزام بالمنهج القرآني في مواجهة الاستفزاز تنمية صفة الصبر في شخصية الإنسان. فالصبر من القيم المركزية التي أكد عليها القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وجعله من أسباب النجاح والفلاح والثبات أمام التحديات. وعندما يتعرض الإنسان للاستفزاز ثم يلتزم بضبط النفس وعدم الانجرار وراء الانفعالات، فإنه يكتسب قدرة أكبر على التحكم في ذاته والتعامل مع المواقف الصعبة بروية واتزان. ولهذا ارتبط الصبر في القرآن الكريم بالقوة النفسية والقدرة على تجاوز الضغوط والأزمات(ابن كثير، ١٩٩٩، ج١، ص٤٣٥). كما تسهم مواجهة الاستفزاز وفق المنهج القرآني في بناء شخصية متزنة انفعاليًا، قادرة على إدارة مشاعرها بصورة واعية. فالاستجابة العاطفية السريعة غالبًا ما تؤدي إلى أخطاء وقرارات غير مدروسة، في حين أن ضبط الانفعال يمنح الإنسان فرصة للتفكير السليم وتقدير المواقف بصورة أكثر موضوعية. وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى من خلال دعوته إلى كظم الغيظ والعفو والإحسان، وهي قيم تربوية تهدف إلى تحقيق التوازن النفسي وحماية الإنسان من آثار الغضب والانفعال المفرط(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٤، ص٩٠).ومن الآثار الأخلاقية المهمة كذلك ترسيخ خلق الحلم، الذي يُعد من أعلى مراتب الأخلاق الإنسانية. فالحليم هو الذي يملك القدرة على ضبط نفسه عند

الغضب، ولا يدفعه الاستفزاز إلى التصرف بصورة تضر به أو بالآخرين. وقد أشاد القرآن الكريم بهذه الصفة في عدد من المواضع، كما قدم نماذج من الأنبياء عليهم السلام الذين واجهوا الاستفزازات المختلفة بالحلم والصبر وسعة الصدر. ويؤدي هذا الخلق دورًا مهمًا في تعزيز العلاقات الإنسانية وتقليل فرص النزاع والصدام بين الأفراد والجماعات(الزمخشري، ١٩٨٧، ج٢، ص٣٩٥-٣٩٦). كما يسهم الالتزام بالتوجيهات القرآنية في مواجهة الاستفزاز في تعزيز قيمة التسامح والعفو. فالقرآن الكريم لا يكتفي بالدعوة إلى ضبط النفس، بل يحث على تجاوز الإساءة والإحسان إلى المسيء متى اقتضت المصلحة ذلك، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢] .ويترتب على هذا التوجيه نشر روح التسامح داخل المجتمع والحد من مشاعر الانتقام والثأر، مما يسهم في تعزيز السلم الاجتماعي وتقوية الروابط بين الناس(ابن عطية، ٢٠٠١، ج٤، ص١٧٦).ومن الجوانب التربوية المهمة أيضًا تنمية الوعي النقدي لدى الإنسان. فالاستفزاز في كثير من الأحيان يعتمد على إثارة الانفعالات أو استغلال العواطف أو نشر الشائعات والأفكار المضللة. وعندما يتربى الإنسان على التثبت والتفكير وعدم التسرع في إصدار الأحكام أو اتخاذ المواقف، فإنه يصبح أكثر قدرة على التمييز بين الحق والباطل، وأقل عرضة للتأثر بالدعايات والاستثارات المختلفة. وقد أكد القرآن الكريم هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، مما يدل على أهمية التحقق والتفكير الواعي في مواجهة المؤثرات الخارجية(الرازي، ١٩٩٩، ج٢٨، ص١٠٨). كما يؤدي الالتزام بالمنهج القرآني في مواجهة الاستفزاز إلى تعزيز الشعور بالمسؤولية الاجتماعية. فالإنسان الذي يضبط انفعالاته ويتجنب إثارة النزاعات أو الردود العدائية يسهم بصورة مباشرة في حفظ استقرار المجتمع وأمنه. ولذلك فإن مواجهة الاستفزاز ليست قضية فردية فحسب، بل لها آثار اجتماعية واسعة تتعلق بحماية العلاقات الإنسانية من التوتر والتفكك والصراع. ومن هنا جاءت التوجيهات القرآنية داعية إلى الإصلاح بين الناس وتجنب كل ما يؤدي إلى الفتنة والانقسام(الواحدي، ١٤١٥هـ، ص٥١٤).ومن الآثار الأخلاقية البارزة كذلك ترسيخ قيمة الحكمة في التعامل مع الآخرين. فالحكمة تقتضي اختيار الأسلوب المناسب في كل موقف، والتمييز بين ما يستحق الرد وما ينبغي الإعراض عنه، وبين ما يُعالج بالحوار وما يحتاج إلى الصبر أو العفو. وقد ربط القرآن الكريم بين الحكمة والدعوة والإصلاح الاجتماعي، مما يدل على أهميتها في إدارة المواقف الاستفزازية بطريقة تحقق المصلحة وتمنع تفاقم النزاع(الأصفهاني، ١٩٩٢، ص٢٤٩-٢٥٠، مادة "حكم"). وعلى المستوى النفسي، يسهم الالتزام بالتوجيهات القرآنية في تحقيق الطمأنينة والاستقرار الداخلي. فالإنسان الذي يعتاد ضبط نفسه والاعتماد على الله تعالى وعدم الانفعال المفرط يصبح أكثر قدرة على مواجهة الضغوط الحياتية، وأقل عرضة للقلق والتوتر والاضطرابات النفسية الناتجة عن الصراعات المستمرة. وهذا ما يبرز البعد الوقائي للمنهج القرآني في حماية الإنسان من الآثار النفسية السلبية للاستفزاز(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٥، ص١٦٤).

المطلب الثالث: التطبيقات المعاصرة للمنهج القرآني في مواجهة الاستفزاز

تتجلى أهمية المنهج القرآني في مواجهة الاستفزاز في قدرته على تجاوز حدود الزمان والمكان، إذ لا تقتصر توجيهاته على معالجة صور الاستفزاز التي كانت موجودة في عصر التنزيل، بل تمتد لتشمل مختلف المظاهر التي يشهدها الواقع المعاصر. ومع التطور الكبير في وسائل الاتصال والتواصل، وتوسع الفضاء الرقمي، برزت أنماط جديدة من الاستفزاز الفكري والنفسي والاجتماعي، الأمر الذي يجعل من الضروري استحضار المبادئ القرآنية وتفعيلها في مواجهة هذه التحديات المستجدة. ومن هنا فإن دراسة التطبيقات المعاصرة للمنهج القرآني تسهم في إبراز حيوية القرآن الكريم وقدرته على تقديم حلول عملية لمشكلات الإنسان في مختلف العصور(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١، ص٤١). ومن أبرز صور الاستفزاز المعاصرة ما يُعرف بالاستفزاز عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أصبحت المنصات الرقمية بيئة خصبة لنشر التعليقات الاستفزازية وإثارة الجدل والخلافات بين الأفراد والجماعات. وتعتمد كثير من هذه الممارسات على إثارة الغضب أو السخرية أو الاستهانة بالآخرين بقصد جذب الانتباه أو تحقيق مكاسب معنوية أو إعلامية. وفي مواجهة هذا الواقع يقدم القرآن الكريم جملة من المبادئ التي تساعد على التعامل الرشيد مع هذه الظاهرة، وفي مقدمتها ضبط اللسان، والتثبت من الأخبار، وتجنب الجدال العقيم، والإعراض عن السلوكيات غير المسؤولة(الطبري، ٢٠٠١، ج٢٢، ص٢٩٦)كما يشهد العصر الحاضر انتشار ظاهرة التنمر الإلكتروني، التي تُعد من أبرز صور الاستفزاز النفسي والاجتماعي في البيئة الرقمية. ويقوم التنمر على السخرية أو التشهير أو الإساءة إلى الآخرين بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مما يترك آثارًا نفسية واجتماعية خطيرة على الأفراد. وقد سبق القرآن الكريم إلى معالجة الأسس التي تقوم عليها هذه الظاهرة حين نهى عن السخرية والتنابز بالألقاب والهمز واللمز، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١] .ويكشف ذلك عن قدرة التوجيه القرآني على تقديم إطار أخلاقي فعال للحد من هذه السلوكيات وتعزيز ثقافة الاحترام المتبادل في البيئات الواقعية والافتراضية على حد سواء(ابن كثير، ١٩٩٩، ج٧، ص٣٧٦)ومن التطبيقات المعاصرة كذلك مواجهة خطابات الكراهية والتحريض التي تنتشر عبر بعض وسائل الإعلام والمنصات الرقمية. فهذه الخطابات تعتمد على إثارة المشاعر السلبية، وتأجيج النزاعات، وتعميق الانقسامات الفكرية أو المذهبية أو العرقية بين الناس. وقد عالج القرآن الكريم هذه الممارسات من

خلال الدعوة إلى العدل والإنصاف والحوار بالحكمة، والنهي عن الظلم والعدوان وإثارة الفتن. كما أكد ضرورة مراعاة الكلمة وأثرها في العلاقات الإنسانية، مما يجعل المنهج القرآني أساسًا مهمًا لبناء خطاب إعلامي مسؤول يسهم في تعزيز التماسك المجتمعي بدلًا من تفكيكه(الرازي، ١٩٩٩، ج٢٠، ص٥٥). كما يمكن الإفادة من المنهج القرآني في معالجة الاستفزازات المرتبطة بالاختلاف الفكري والثقافي في المجتمعات المعاصرة. فالتنوع الفكري والثقافي أصبح سمة بارزة في كثير من المجتمعات، وقد يؤدي سوء إدارة هذا التنوع إلى ظهور ممارسات استفزازية تؤدي إلى التوتر والصراع. وفي هذا السياق يؤكد القرآن الكريم أهمية الحوار واحترام الآخر والاحتكام إلى القيم المشتركة، وهو ما يسهم في تحويل الاختلاف من مصدر للنزاع إلى مجال للتعارف والتكامل والتعاون(الزمخشري، ١٩٨٧، ج٤، ص٣٧٢)وتبرز أهمية المنهج القرآني كذلك في المؤسسات التعليمية والتربوية، حيث يمكن توظيفه في تنمية مهارات ضبط الانفعال وإدارة الخلافات والتعامل الإيجابي مع النقد والاستفزاز. فتعليم الطلبة قيم الصبر والحلم والحوار والتثبت يساعد على بناء شخصيات متوازنة قادرة على مواجهة الضغوط والتحديات دون اللجوء إلى العنف أو السلوك العدائي. كما يسهم في إعداد جيل أكثر وعيًا بخطورة الاستفزاز وأساليبه المختلفة(ابن كثير، ١٩٩٩، ج٢، ص٤٨٥). وفي المجال الأسري، يقدم القرآن الكريم نموذجًا متوازنًا في إدارة الخلافات والتعامل مع المواقف الاستفزازية داخل الأسرة. فالأسرة تمثل البيئة الأولى التي يتعلم فيها الإنسان كيفية التعبير عن مشاعره والتعامل مع الآخرين، ومن ثم فإن ترسيخ القيم القرآنية داخل الأسرة يسهم في الحد من النزاعات وتعزيز ثقافة الاحترام والحوار والتسامح بين أفرادها(أبو حيان، ٢٠٠٠، ج٣، ص٥٤٨). كما يمكن الإفادة من المنهج القرآني في مجال بناء السلم المجتمعي ومواجهة النزاعات الاجتماعية، إذ تؤكد النصوص القرآنية أهمية الإصلاح بين الناس وتجنب كل ما يؤدي إلى الفرقة والانقسام. وفي ظل ما يشهده العالم من صراعات فكرية واجتماعية وسياسية، تبرز الحاجة إلى تفعيل هذه القيم القرآنية في البرامج التربوية والإعلامية والثقافية؛ من أجل الحد من مظاهر الاستفزاز والكراهية وتعزيز ثقافة الحوار والتعايش(الأصفهاني، ١٩٩٢، ص٤٢٢).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد تناول هذا البحث موضوع آيات الاستفزاز في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، من خلال بيان مفهوم الاستفزاز ودلالاته اللغوية والقرآنية، والكشف عن الألفاظ ذات الصلة به، وتتبع مواضعه وسياقاته في القرآن الكريم. كما استعرض البحث أبرز صور الاستفزاز التي عرضها القرآن الكريم، والمتمثلة في الاستفزاز العقدي والفكري، والاستفزاز النفسي والاجتماعي، والاستفزاز الشيطاني، مع بيان أهدافها وآثارها في الفرد والمجتمع. وقد أظهرت الدراسة أن القرآن الكريم لم يقتصر على تشخيص هذه الظاهرة وبيان مخاطرها، بل وضع منهجًا متكاملًا لمواجهتها قائمًا على الصبر والحلم والحكمة وضبط النفس والإعراض عن الجاهلين والدفع بالتي هي أحسن. كما بينت الدراسة أن الالتزام بالتوجيهات القرآنية يسهم في بناء شخصية متزنة قادرة على مواجهة الضغوط والاستفزازات المختلفة دون الانجرار إلى السلوكيات السلبية أو ردود الأفعال غير المنضبطة. وانتهت الدراسة إلى أن المنهج القرآني في التعامل مع الاستفزاز يمثل نموذجًا تربويًا وأخلاقيًا متكاملًا، يسهم في تحقيق الأمن النفسي والاستقرار الاجتماعي، ويقدم حلولًا عملية لمعالجة كثير من مظاهر الاستفزاز المعاصرة، بما يعزز قيم التعايش والتسامح والإصلاح في المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

١. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الجياني، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، ٢٠٠٠م.

٢. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٣. ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

٥. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ط١، دار صادر، د.ت.

٦. الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط١، دار القلم، والدار الشامية، ١٩٩٢م.

٧. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، ١٩٩٦م.

٨. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م.

٩. الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط٣، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م.

١٠. الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، أساس البلاغة، ط١، دار صادر، ١٩٩٢م.

١١. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الرسالة، ٢٠٠٠م.

١٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، والمحلي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، تفسير الجلالين، ط١، دار الحديث، د.ت.

١٣. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، ١٩٩٥م.

١٤. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، ١٩٩٤م.

١٥. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.

١٦. الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م.

١٧. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، دار الشعب، ١٣٧٣هـ.

١٨. القزويني الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

١٩. مغنية، محمد جواد بن علي بن محمد مغنية، تفسير الكاشف، ط٣، دار العلم للملايين، ١٩٨١م.

٢٠. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المكتبة الحسينية المصرية، ١٣٤٤هـ.

٢١. الواحدي، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الوجيز في التفسير، دار القلم، والدار الشامية، ١٤١٥هـ.